ومن اختصره قديما : جلال الدين السيوطي ، وسمى كتابه : « الدر النثير ، تلخيص نهاية ابن الأثير » . وقد طبع « الدر » بهامش النهاية في المطبعة العثمانية سنة ١٣١١ هـ وتقع هذه الطابعة للكتابين معا في أربعة أجزاء .

كتب الأضداد

في العربية كلمات تستعمل كل منها بمعنيين متضادين ، مثل (باع) ، يكون على المعنى المعروف عند الناس ، ويكون بمعنى ابتاع واشترى . ومثل (الضعف) ، فيكون ضعف الشيء مثله ، ويكون مثليه . وكذلك (الغريم) الذي له الدين والذي عليه الدين أيضا (الدائن ، والمدين) .

والمتأمل في أحوال هذه الأضداد يرى أن منها ما هو لغات في قبائل مختلفة ، فكلمة « السدفة » في لغة تميم معناها : « الظلمة » ، وفي لغة قيس معناها : الضوء والنهار . ومنها ما أطلق على الضدين لمعنى مشترك ، مثل « المأتم » الذي يطلق على النساء المجتمعات في الحزن ، أو في الفرح ، وانما جاءت هذه الدلالة من أن المأتم يطلق على مجرد اجتماع النساء ، ومع مرور الزمن اقتصر استعمال المأتم على الاجتماع في الحزن . وربما كان الباعث على التضاد : التفاؤل والأمل المرجو ، كاطلاقهم لفظ « السليم » على السالم الصحيح الجسم وعلى الملدوغ الذي نهشته الحية ، تفاؤلا بسلامته من تلك اللدغة .

ومن هنا اختلف اللغويون في الأضداد ، وتعددت آراؤهم في تعليل وجودها في العربية ، ما بين مثبت لها مطلقا ، ومقيد لها بشروط ، ومنكر لها البتة . ولكن المنكرين — وفي مقدمتهم ابن درستويه (— ٣٤٧ هـ) — لم يأتوا بحجج كافية تؤيد انكارهم ، وهم — على كل حال — قلة بالقياس الى من أثبت الاضداد من العلماء : كالأصمعي (— ٢١٦ هـ) وابن السكيت (— ٢٤٤) والمبرد (— ٢٨٥) وأبي بكر الانباري (— ٣٢٨) وأبي الطيب اللغوي (— ٣٥١) وابن فارس (— ٣٩٥) . وابن الدهان (— ٥٦٩) ..

ومن أشهر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع :

كتاب الأضداد : لأبي بكر الانباري

أبو بكر الأنباري ، محمد بن القاسم ، نسبته الى « الأنبار » ، مدينة على الفرات ، غربي بغداد . وقد ولد أبو بكر في بغداد ، ودرس على أبيه وغيره من العلماء ، حتى أصبح اماما في اللغة والنحو والأدب والقراءات والتفسير .

Scanned by CamScanner

وكان ثقة صدوقا متحليا بأخلاق العلماء . روى تلميذه الدارقطني (ـ ٣٨٥هـ) انه صحف اسما في مجلس علم ، فهاب الدارقطني أن يصارحه بذلك . فلما انقضى المجلس أخبر كاتبه . وحين حضر المجلس الثاني قال الانباري لكاتبه : عرف الجماعة أننا صحفنا الاسم الفلاني ، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب .

توفي أبو بكر سنة ٣٢٨ هـ . ومن مصنفاته : الأضداد ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . أما « شرح المفضليات » فهو لأبيه : القاسم بن محمد (ـ ٣٠٥ هـ) .

وكتابه « الأضداد » يعنى بجمع الألفاظ التي تقع على الشيء وضده في المعنى . ويستشهد على ذلك بآيات التنزيل ، والأحاديث النبوية ، وكلام العرب وأشعارهم . ولكن الأنباري لم يسلك في كتابه منهجا معينا ، بل ساق ألفاظ الأضداد بلا نظام ولا ترتيب . وهو يدافع في مقدمة الكتاب عن ظاهرة الاضداد في اللغة العربية ، ويعرض بأهل البدع والزيغ الذين يعيبون اللغة لذلك . ويشير الى أن وقوع الأضداد في كلام العرب جائز مقبول ، وأن فهم ذلك ممكن اذا وقع في الكلام ، وتعليل ذلك أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط أوله بآخره ، ويُعرف المعنى من السياق .

وهذا مثال من الكتاب يوضح طريقة مؤلفه في الكلام على الأضداد :

« **ووراء** : من الأضداد . يقال للرجل : وراءك ، أي خلفك ، ووراءك أي أمامك . قال الله عز وجل : « ومن ورائهم جهنم » فمعناه : من أمامهم . وقال تعالى : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » فمعناه : وكان أمامهم . وقال الشاعر :

ليس على طول الحياة ندم ... ومن وراء المرء ما يعلم

أي من أمامه . وقال الآخر :

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائيا

أراد : قدامي ...

واشتريت : حرف(١) من الأضداد ، يقال : اشتريت الشيء على معنى قبضته وأعطيت ثمنه . وهو المعنى المعروف عند الناس . ويقال : اشتريته اذا بعته . قال الله عز وجل : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » . قال جماعة من المفسرين : معناه : باعوا الضلالة بالهدى ....

(١) الحرف ، هنا ، بمعنى الكلمة .

Scanned by CamScanner

ويقال : شريت الشيء : اذا بعته ، وشريته : اذا ابتعته ٠٠ » ٠

طبع كتاب الأضداد ، للأنباري ، مراراً في ليدن ، ومصر ، وغيرهما ٠ وأجود طبعاته تلك التي حققها محمد أبو الفضل ابراهيم ، وطبعت في الكويت سنة ١٩٦٠ م ٠ وهي مزودة بفهارس فنية مختلفة ٠

كتب اللحن وتقويم اللسان

مر بنا في تمهيد هذا الفصل أن الفساد بدأ يسري الى سلائق العرب ولغتهم التي يتكلمونها ، بعد اختلاطهم بالأعاجم ، وكان أن ظهر اللحن على الألسنه في وقت مبكر ، منذ أوائل العصر الاسلامي ، حتى شعر الخلفاء الراشدون بخطر ذلك على العربية ، فنقرأ في المصادر أن أبا بكر الصديق قال في معرض الحديث عن فشو اللحن : « لأن أقرأ وأسقط أحب الي من أن أقرأ والحن » ٠

ومر عمر بن الخطاب بقوم يرمون النبال ويخطئون في رميهم ، فقال : ما أسوأ رميكم ٠ فقالوا : « نحن قوم متعلمين » ٠ فقال عمر : والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم ٠

ويروى أن رجلا قدم الى زياد بن أبيه والي البصرة لعهد معاوية ، فقال : « أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك بنون » فاستاء زياد من هذا اللحن ، ودفعه استياؤه هذا الى أن يكرر عبارة ذلك الرجل ، قائلا : « توفي أبانا وترك بنون !! ٠٠٠ » ٠

ولم يقتصر الامر ، مع الايام ، على الغلط النحوي ، بل تعداه الى اللحن اللغوي ، في الالفاظ نفسها واستعمالاتها في الكلام ، ضبطاً وتركيباً :

فتارة يفتحون المكسور في أول الكلمة ، فيقولون : « صَنارة الصيد » والصواب كسر الصاد ٠

وتارة يشددون المخفف ، فيقولون : « الدُّخان » و « قدّوم » و « دمّ » والصواب تخفيف الخاء ، في « الدُخان » ، وتخفيف الدال في « قدوم » والميم في « دم » ٠

وقد يحرفون الكلمة نفسها في أحرفها فيقولون : « انجاص » والصواب « اجاص » ٠

وقد يجعلون الفعل اللازم متعديا ، والمتعدي لازما ٠ ٠٠ أو يعدون الفعل بغير حرفه الخاص به ، فيقولون ، مثلا : « أثر عليه » بدلا من « أثر فيه » ٠٠٠ الخ ٠

Scanned by CamScanner

في تصحيح الأغلاط على مر العصور ، أن هذه المحاولات جميعا كان لها أثرها ، لم تستطع الايام اللغوية المتداولة ، ولكن الطريف في الأمر ان بعض الاغلاط لا وجود له اليوم محوه من الألسنة ، وأن بعضها الآخر مما أثبتته تلك الكتب ـ ، حلت محلها ثم انه كلما اضمحلت طائفة من الأغلاط الشائعة وتجنبها الناس ، فيحتاج الامر طائفة أخرى جديدة جاء بها العصر المستجد والحضارة المتطورة الى تآليف كتب جديدة تصحح ما استجد من الأغلاط وتنسخ ما مات منها وتلاشى ٠ وهلم جرا ٠

ونتكلم الآن على واحد من تلك الكتب القديمة ، طبقت شهرته الآفاق ، وسار ذكره في المشرق والمغرب ، وهو :

دُرة الغوّاص : للحريري

الحريري : هو القاسم بن علي ، أبو محمد الحريري البصري ، صاحب « المقامات الحريرية » التي ترجمت الى اللاتينية ، منذ القرن الثامن عشر ، ثم الى كثير من اللغات الأوروبية الحديثة ٠ كان الحريري أديباً كبيراً ، غزير العلم ، غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة ٠ ونسبته الى عمل الحرير أو بيعه ٠ توفي بالبصرة سنة ٥١٦ هـ وقد بلغ السبعين من عمره ٠ قال فيه ياقوت الحموي : « وله تصانيف تشهد بفضله ، وتقر بنبله ٠ وكفاه شاهداً كتاب المقامات التي أبر بها على الأوائل ، وأعجز الأواخر » ٠

أما كتابه « درة الغواص في أوهام الخواص(١) » فهو أحد الكتب التي ألفت في تقويم ألسنة الخاصة من المثقفين ، وبيان أغلاطهم فيما يستعملونه من الألفاظ والعبارات في غير معناه ، أو يضعونه في غير موضعه ، أو يلحنون فيه متأثرين بالعامة في ذلك ٠ وهذا ما حفزه لتأليف كتابه ٠ وقد ذكر في مقدمته غرضه هذا فقال : « ٠٠ فاني رأيت كثيراً ممن تسنموا أسنمة الرتب ، وتوسموا بسمة الأدب ، قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم ، وترعف به مراعف أقلامهم ، مما اذا عُثر عليه ، وأثر عن المعزو اليه ، خفض قدر العلية ، ووصم ذا الحلية ٠ فدعاني الانف لنباهة أخطارهم ، والكلف باطابة أخبارهم ، الى أن أدرأ عنهم الشُبه ، وأبين ما التبس عليهم واشتبه ، لألتحق بمن زكا أُكُل غرسه(٢) ، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فألفت هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر ، وتذكرة لمن أراد أن يذكر » ٠

---

(١) انظر الكلام عليه مفصلا في كتاب « لحن العامة والتطور اللغوي » للدكتور رمضان عبد التواب ٢١٠ ـ ٢١٧ ٠

(٢) زكا : نما وزاد ٠ والأُكُل ، بضمتين : المأكول ٠ والمراد : طابت ونمت آثاره فانتفع بها الناس ٠

Scanned by CamScanner

والحريري يسرد مواد كتابه ، مادة اثر أخرى ، فيبين وجه الغلط ، ثم يذكر الاستعمال الصحيح فيه ، بلا ترتيب معين ، ولا منهج منسق ، مؤيداً كلامه بأقوال العلماء ، وبشواهد فصيحة من الشعر والنثر ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية · ونراه يتشدد في عرض الأخطاء ، وذكر الصواب فيها ، بعبارات قاسية ، وتعقيبات تزري على الخاصة هفواتهم وسقطاتهم · فهو يمهد للغلط بمثل قوله : « فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يقولون ··· » ، أو قوله : « ومن أوهامهم الزارية على أفهامهم ، العاكسة معنى كلامهم أنهم لا يفرقون بين معنى نعم وبلى ··· » كما يعقب على الوهم بقوله : « وهو خطأ بين ، ووهم مستهجن » أو قوله : « وهو من أفضح الاوهام » ·

والطابع اللغوي هو الغالب على مواد الكتاب ، من حيث أوهام النطق والدلالة ، ولكن الحريري أضاف الى ذلك ظواهر من الاغلاط النحوية ، وأخرى من الاخطاء التي تقع في الكتابة ورسم الكلمات ، وهو ما نسميه اليوم بالاخطاء الاملائية ، كبعض أحوال الهمزة المتوسطة ، والألف المقصورة ، وحذف ألف « ابن » · وحرص الحريري أيضاً على أن يضمن كتابه فوائد لغوية ، ومسائل نحوية وصرفية ، وأخباراً أدبية التقطها من مصادر مختلفة · وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه فقال :

« وها أنا قد أودعته من النخب كل لباب ، ومن النكت ما لا يوجد منتظما في كتاب · هذا الى ما لمعته به من النوادر اللائقة بمواضعها ، والحكايات الواقعة في مواقعها » ·

وهذه أمثلة من « درة الغواص » توضح طريقته ومضمونه ، قال :

« ويقولون : (ما كان ذلك في حسابي) أي في ظني · ووجه الكلام أن يقال : ما كان ذلك في حسباني · لأن المصدر من حسبت – بمعنى ظننت – مَحسِبة وحِسبان ، بكسر الحاء · فأما الحساب فهو اسم للشيء المحسوب ···

ومن ذلك أنهم لا يفرقون بين الترجي والتمني · والفرق بينهما واضح . وهو أن التمني يقع على ما يجوز أن يكون ، ويجوز الا يكون ، كقولهم : ليت الشباب يعود · والترجي يختص بما يجوز وقوعه · ولهذا لا يقال : لعل الشباب يعود ···

ومن ذلك توهمهم أن القينةَ المغنيةُ خاصةً · وهي – في كلام العرب – الأمة ، مغنية كانت أو غيرَ مغنية · وعلى ذلك قول زهير :

Scanned by CamScanner

ردّ القيانُ جمالَ الحيِّ فاحتملوا ... الى الظهيرة ، أمرٌ بينهم لبِكُ(1)

وقد أثار هذا الكتاب اهتمام القدماء ، فمنهم من شرحه كالخفاجي (ـ ١٠٦٩ هـ) ومنهم من رتبه كابن منظور (ـ ٧١١ هـ) ومنهم من رد عليه ونقده كابن الخشاب (ـ ٥٦٧ هـ) . وطبع غير مرة ، في مصر ، والمانيا ، والقسطنطينية ، وبغداد . وحققه أخيرا محمد أبو الفضل ابراهيم وطبع في مصر سنة ١٩٧٥ م .

كتب ورسائل لغوية مختلفة

والى جانب ما سبق ذكره من كتب النوادر ، والغريبين ، والأضداد ، وتقويم اللسان ، ظهرت كتب لغوية أخرى متنوعة ، ومعظمها رسائل صغيرة ، محدودة الموضوع ، بنيت على ظاهرة لغوية ، أو على معنى من المعاني . ولذا كانت أشبه بالمعاجم المتخصصة ، أو الكتب التي تختص بموضوع بعينه . وهي كثيرة جداً ، نكتفي هنا بالاشارة الى بعضها ، بحسب موضوعاتها :

آ ـ **كتب الحيوان** : وهذه الكتب تعكس عناية العرب ، ولا سيما أهل البادية ، بالحيوانات من ابل وخيل وشاء ووحوش ، وكل ما يدب على الارض من الزواحف والهوام . وعني مؤلفو هذه الكتب بأسماء الحيوان ، وأجناسه ، وأعضائه ، وصفاته ، ونتاجه ... في نطاق لغوي صرف ، بعيد عن الميدان العلمي والتشريحي ، ويقتصر فيه على ما يتعلق بموضوع الحيوان من ألفاظ اللغة .

وقد ألف الأصمعي (ـ ٢١٦ هـ) عدداً من هذه الكتب ، مثل « الابل » و « الخيل » و « الشاء » و « خلق الفرس » و « الوحوش » ..

كما ألف أبو زيد الانصاري (ـ ٢١٥ هـ) كتاب « اللبأ واللبن » وهي رسالة صغيرة لا تتجاوز ثلاث صفحات ، ذكر فيها صفات كل من اللبأ ، واللبن ، وما يتصل بهما . واللبأ : أول اللبن في النتاج ، وأكثر ما يكون ثلاث حلبات ، واقله حلبة .

ب ـ **كتب النبات** : وهي تتحدث عن أنواع النبات المعروفة عند العرب ، واسمائها ، ومنابتها ، وعن الاشجار وصفاتها وأشكالها ، ومواطنها ... وللأصمعي من ذلك « كتاب النبات والشجر » ، و « كتاب النخل والكرم »

---

(1) لبك : مختلط . يقال لبكت الطعام بالعسل وغيره ، اذا خلطته . ولبكت عليه الامر ، اذا خلطته عليه .

Scanned by CamScanner

٦ ــ **مبادىء اللغة : للخطيب الاسكافي** (ــ ٤٢١ هـ) وهو مقسم الى أبواب مختلفة ، منها : ذكر السماء والكواكب ، الرياح ، المياه وأوصافها وذكر أماكنها ، البُسط والفُرش ونحوهما ، الأواني ، النار وأدواتها ، الألبان ، الخبز وآلاته ٠٠ الخ ٠

٧ ــ **سحر البلاغة وسر البراعة : للثعالبي** (ــ ٤٢٩ هـ) ٠ طبع بدمشق سنة ١٣٥٠ هـ ، وهو يشبه « جواهر الألفاظ » في عنايته بالتنميق والسجع والترادف بين الجمل ٠

وقد اخترنا اثنين من معاجم المعاني القديمة ، لنتحدث عنهما مفصلاً ، وهما : « فقه اللغة » للثعالبي ، و « المخصص » لابن سيده ٠

فقه اللغة : للثعالبي

الثعالبي : أبو منصور ،عبد الملك بن محمد ، من أئمة اللغة والأدب ، من أهل نيسابور ٠ كان فرّاء يخيط جلود الثعالب ، فنسب الى صناعته ٠ واشتغل بالأدب والتاريخ واللغة حتى علا نجمه ، فكان من أعلام التاليف في هذه الميادين ولقب بجاحظ نيسابور ٠ توفي سنة ٤٢٩ هـ وهو في التاسعة والسبعين من عمره ٠ ومن كتبه : فقه اللغة ، ويتيمة الدهر ، وسحر البلاغة ، وثمار القلوب ٠

وكتابه : « فقه اللغة وسر العربية » يعد حلقة مهمة من معاجم المعاني التي تعنى بأسرار اللغة العربية ولطائفها وخصائصها ٠ وقد جعله الثعالبي قسمين ، كما يوحي عنوانه كاملا :

١ ــ **القسم الأول : في (فقه اللغة)** ٠ ويعادل ثلاثة أرباع الكتاب ، وهو موزع على ثلاثين باباً من الأبواب العامة الشاملة ، وكل باب ينقسم الى جملة من الفصول ، تقل أو تكثر ، ويضم كل فصل منها فرعاً جزئياً من المعنى العام الذي عُقد عليه الباب الأصلي ، كما رأيت في المقدمة التي مهدنا بها للحديث عن معاجم المعاني عامة ، وذكرنا فيها الأبواب التالية : (أسنان الناس والدواب ، الأمراض والأدواء ، الأطعمة والأشربة وما يناسبها) ٠ وقد بلغ عدد الفصول في هذا القسم من الكتاب نحو ٦٠٠ فصل ٠

ومن امثلة أبوابه أيضاً :

Scanned by CamScanner

– (باب في ذكر أحوال وأفعال للإنسان وغيره من الحيوان) : وهو يحتوي على فصول ، منها : ترتيب النوم ، ترتيب الجوع ، ترتيب العطش ، ترتيب السرور ، ترتيب أحوال الغضب ... الخ .

– (باب في الأصوات وحكاياتها) : وفيه من الفصول : تفصيل أصوات الإبل ، أصوات الطيور ، أصوات الحشرات ، حكاية أصوات المكروبين والمحزونين والمرضى ... الخ .

والثعالبي يعنى في كل فصل ببيان الفروق الدقيقة بين معاني الألفاظ المترادفة ، ويعنى بتحديد دلالاتها وأوجه استعمالها ، ومن أمثلة ذلك قوله في « فصل ترتيب الجوع » من باب أحوال الإنسان وأفعاله :

« أول مراتب الحاجة إلى الطعام : الجوع ، ثم السغب ، ثم الغرث ، ثم الطوى ، ثم المخمصة ، ثم الضرم ، ثم السعار » .

وفي الباب الذي عقده لأسنان الناس والدواب ، يقول في « فصل ترتيب سن الغلام » :

« يقال للصبي إذا وُلد : رضيع وطفل ، ثم فطيم ، ثم دارج ، ثم حفر ، ثم يافع ، ثم شدخ ، ثم مطبخ ، ثم كوكب » .

٢ – القسم الثاني : في (سر العربية) . وقد تناول فيه الثعالبي بعض الأساليب والتراكيب في اللغة العربية ، وطريقة العرب في التعبير ، مستشهداً على ذلك بالآيات القرآنية والأشعار الفصيحة ومأثور كلام العرب . وهذا القسم موزع على فصول تبلغ المئة تقريباً ، مثل : تقديم المؤخر وتأخير المقدم ، وإجراء ما لا يعقل ولا يفهم من الحيوان مجرى بني آدم ، وإقامة الواحد مقام الجمع ، وما يذكر ويؤنث ، والاستعارة ، والالتفات ، والنحت ... الخ .

ومن أمثلة هذا القسم قول الثعالبي في فصل (الإتباع) :

« هو من سنن العرب ، وذلك أن تتبع الكلمةُ الكلمة على وزنها ورويها إشباعاً وتوكيداً ، كقولهم : جائع نائع ، وساغب لاغب ، وعطشان نطشان ... »

وقوله في فصل (الجمع الذي لا واحد له من لفظه) : « النساء ، والنعم ، والقوم ، والخيل ، والإبل ، والعالم ، والرهط ، والنفر ، والمعشر ، والجُنْد ، والجيش ، والمساوئ ، والمحاسن ، والملامح ... »

Scanned by CamScanner

هذا ، وقد حظي كتاب « **فقه اللغة** » بشهرة واسعة على مدى السنين ، لما يمتاز به من تنسيق دقيق ، وتبويب حسن ، ومنهج قويم ، وعناية خاصة بتحديد دلالة كل لفظة ومعناها الخاص بها ، وتوضيح ما بين المعاني من فروق دقيقة ، يضاف الى ذلك اهتمام الثعالبي بتقصي أساليب العرب وأنماط تعبيرهم ، وجعل هذه الأساليب والأنماط في مجموعات متجانسة ، وزمر متوائمة(١) .

المخصص : لابن سيده

ابن سيده الأندلسي : أبو الحسن ، علي بن اسماعيل . ولد في « مُرسية » شرقي الأندلس ، ثم انتقل الى « دانية » على البحر ، وفيها توفي سنة ٤٥٨ هـ . وهو من علماء اللغة والنحو والشعر ، المشهورين بسعة الحفظ وجودته . وكان ضريراً كأبيه ، ولكنه بصير العقل ، حاد الذكاء . وهو معاصر لأبي العلاء المعري . قيل : « كان بالمشرق لغوي ، وبالمغرب لغوي ، في عصر واحد ، لم يكن لهما ثالث ، وهما ضريران . فالمشرقي أبو العلاء ، والمغربي ابن سيده بالأندلس » .

اشتهر ابن سيده بمعجميه : المخصص ، والمحكم . وقد أملاهما من حفظه .

وكتابه « **المخصص** » : هو أوسع معاجم المعاني مطلقاً وأغزرها مادة ، وأجدر الكتب في موضوعه بأن يحمل اسم معجم كامل للمعاني ، لما اتسم به من تقص لألفاظ العربية ، واستيعاب لمعظمها ، وقد شرع ابن سيده في تأليفه — وهو في « دانية » — وكان يومئذ في الثامنة والثلاثين من عمره ، بتشجيع من أميرها الموفق (— ٤٣٦ هـ) .

واعتمد في تأليفه على ما وعاه صدره من عيون المصادر اللغوية التي ذكرها في مقدمة كتابه وقاربت العشرين كتاباً ، من عيون الكتب ، مما ألفه الفراء ، وابن السكيت ، والمبرد ، والقالي وغيرهم .. ومهد له ببحث يتناول نشأة اللغة العربية ، واختلاف علماء اللغة في هذه النشأة فقال : « وقد اختلفوا في اللغة : أمتواطأ عليها أم ملهم اليها . وهذا موضع يحتاج الى فضل تأمل . غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي ولا توقيف »(٢) .

---

(١) طبع كتاب فقه اللغة مراراً . وأجود طبعاته تلك التي صدرت في مصر وحققها : مصطفى السقا ، وابراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي .
أما طبعة بيروت — التي نشرها لويس شيخو وصورت أخيراً — فهي مختصرة ، كما حذف منها القسم الثاني : « سر العربية » واستبدلت به مختارات من كتب لغوية أخرى .

(٢) المخصص ١/٣ .

Scanned by CamScanner

ثم قسم ابن سيده كتابه الى مجموعة أبواب كبيرة ، سمى كلا منها « كتاباً » ، وكل كتاب يحمل موضوعاً واسعا ذا طابع عام ، على النحو التالي : (خلق الانسان ، الغرائز ، النساء ، اللباس ، الطعام ، السلاح ، الخيل ، الابل ، الغنم ، الوحوش ، السباع ، الحشرات ، الطير ، الأنواء ، السماء والفلك ، البحر والرياح والهواء ، النخيل والنبات والمعادن) . وكل كتاب من هذه الكتب يتفرع الى عدد من العناوين الجزئية التي يطلق عليها أحياناً اسم « أبواب » .

ويمتاز هذا التبويب على ما حوته معاجم المعاني السابقة بأن أجزاءه وعناوين كتبه ، وما يتفرع عنها من عناوين وأبواب جزئية ، تتوالى على نسق يراعي الترابط والتدرج في الموضوعات : من الانسان وما يتعلق به أو يحتاج اليه ، الى الحيوان وأنواعه ، ثم الى السماء والأفلاك والأنواء ، فالأهوية والرياح ، فالنباتات والمعادن وما اليها من جمادات . وقد نلمح في هذا الكتاب بعض الخلل في تتابع أبوابه وفصوله ، من آن الى آخر ، ولكنه يظل ـ من حيث هيكله العام وخطوطه العريضة ـ متسماً بحسن التبويب ، واحكام المنهج بالقياس الى غيره ، ويشعر قارئه بنظام عام فُرض على الكتاب ، وجعله وحدة متكاملة في قواعده الاساسية ، ضمن سمط ينظم حباته ، وهدف يوجه كتبه وأبوابه .

ولهذا الكتاب خصائص أخرى ـ الى جانب ما سبق ـ نلخصها فيما يلي :

١ ـ التقصي والتتبع والتحري ، والحرص على نسبة كل قول الى صاحبه ، مراعاة للأمانة العلمية . ومن هنا كان دأب ابن سيده على ذكر مصادره ممثلة بأسماء مؤلفيها ، في كل فقرة .

٢ ـ غناه بالألفاظ الصالحة للتعبير عن شؤون الحضارة ، ومعاني التمدن ، وما تتطلبه الحياة العلمية من مصطلحات ومفردات في مختلف الفنون والعلوم .

٣ ـ محاولة تحديد معنى كل لفظة وتخصيصها بمعناها . وربما كانت هذه الرغبة هي التي دفعت المؤلف الى تسمية كتابه بـ « المخصص » . ومن ثم جاز كسر الصاد المشددة ، على أنه اسم فاعل ، وان كان المشهور فتحها .

٤ ـ كثرة الشواهد الشعرية التي تساعد على تثبيت معاني الكلمات في ذهن القارىء ، وتدله على كيفية استخدامها في التراكيب والعبارات من جهة أخرى .

Scanned by CamScanner

٥ ـ هذا وقد الحق المؤلف بكتابه بحوثاً لغوية وصرفية مختلفة تتعلق بالتضاد ، والترادف ، والاشتراك ، والاشتقاق ، والتعريب ، والمجاز ، والممدود والمقصور ، والتذكير والتأنيث • وابدال الحروف بعضها من بعض •••• الخ •

طبع كتاب « المخصص » في مصر بين سنتي ١٣١٦ ـ ١٣٢١ هـ في ١٧ جزءاً ، بعناية العلامة اللغوي محمد محمود التركزي الشنقيطي • ثم نشره المكتب التجاري في بيروت سنة ١٣٨٦ هـ في طبعة مأخوذة عن الطبعة الأولى بالتصوير ، وجُعلت أجزاؤه السبعة عشر في خمسة مجلدات ضخمة • وكلتا الطبعتين خالية من الفهارس الحديثة ، الا فهرس الموضوعات لكل جزء •

ثم نشرته مصوراً أيضا دار الآفاق الجديدة في بيروت ، والحق بهذه الطبعة فهرس لأشعار « المخصص » وأرجازه فقط ، صنعه المحقق المعروف عبد السلام هارون ، ويقع هذا الفهرس في ٢٧٦ صفحة •

ولا يزال كتاب « المخصص » في حاجة الى طبعة حديثة يتوافر فيها مزيد من التحقيق والتنسيق والتعليق •

* *

ونقتطف هنا بعض الامثلة الموضحة من كتاب « المخصص » لنتعرف طريقة المؤلف ومنهجه في عرض مواد كتابه :

١ ـ قال في الكلام على « الجوع » :

« الجوع : ضد الشبع • قال سيبويه : جاع جوعاً ، وهو جائع ، والجمع جِياع • ابن السكيت : وجُوَّع • غير واحد : رجل جائع وجوعان ، من قوم جياع وجوعى • وقد أجعته ، وجوعته • حكاه صاحب العين • وأنشد :

مُجوَّع البطن كلابي الخُلق

ابن السكيت : قد أصابتهم مجاعة ، ومَجوَعة ، ومَجُوعة : وهو عامُ الجوع • صاحب العين : جعت الى لقائك : غرثت ، وهو على المثل ، كما قالوا : عطشت ••• » •

٢ ـ وفي الكلام على « الشبع » :

« صاحب العين : الشبع : ضد الجوع • شبع شبعاً ، والاسم : الشبع • قال سيبويه : شَبِع شبعاً فاحشا ، وهذا شبعه • أبو علي : شبعه ، وشبعه • ابن السكيت : شبع شبعا وتشبع • وقال : انتهينا الى بلد قد شبعت ماشيته ،

Scanned by CamScanner

وشبَّعت ، وهي دون : شبعت · قال أبو علي : وقد قيل : الشبع في المصدر
قال سيبويه : شبهوه بالسمن ، والكبر ، وكل متناه ـ من لفظ أو صبغ ـ
مشبع ، فهو مثل بذلك ·

صاحب العين : رجل شبعان ، وقد يجيء في الشعر : شابع ، والأنثى :
شبعى وشبعانة ، وجمعها شباع · وقد أشبعه الطعام ·· » ·

٣ ـ وقال في « أسماء ما يؤكل عليه » :

« صاحب العين : المائدة : التي يؤكل عليها · أبو حاتم : المائدة :
الطعام وان لم يكن هناك خوان · قال أبو علي : لا تسمى المائدة مائدة حتى
يكون عليها طعام ، والا فهي خِوان · ابن السكيت : خِوان ، وخُوان · قال
سيبويه : وجمعها أخونة ، أتموا ليفرقوا بينه وبين أفعَل ، كأبيع ونحوها ·
وفي الكثير : خُون ، وأصله : خُوُن ، الا أنهم لم يحركوا الواو كراهة الضمة
فيها ، والضمة قبلها ، ورجعوا فيها الى اللغة التميمية ، ووافق الذين يقولون :
فُعال ، الذين يقولون : فِعال ، لاتفاقهما في العدة وحرف اللين ·

أبو حاتم : المائدة : الطعام نفسه ، والعوام يظنونه الأخونة · ابن
دريد : الديسق ، والفاثور ، والقُذمور ، كله : الخِوان من الفضة ·· » ·

★ ★

ولم يتوقف التأليف في ميدان معاجم المعاني الى يومنا هذا ، ومن أهم الكتب التي ظهرت على توالي العصور ، بعد « المخصص » : نظام الغريب ، لعيسى بن ابراهيم الربعي (ـ ٤٨٠ هـ) ، **والسامي في الأسامي :** للميداني (ـ ٥١٨) ، **وكفاية المتحفظ** : لابن الأجدابي (ـ نحو ٦٥٠) ·

وفي العصر الحديث ألف عدد من معاجم المعاني ، التي تختلف فيما بينها حجماً ، وطريقة ، ومضموناً ، وأسلوباً ، مثل : **معجم القطيفة** في أسماء أعضاء الانسان وما يتعلق بها : لناصيف اليازجي (ـ ١٨٧١ م) ، **ولطائف اللغة :** لأحمد اللبابيدي (ـ ١٩٠٠ م) ، **ونجعة الرائد :** لابراهيم اليازجي (ـ ١٩٠٦ م) ، **ونجدة اليراع** : لسعيد الشرتوني (ـ ١٩١٢ م) ، **والرافد :** لأمين آل ناصر الدين ، وهو معجم للانسان والبيئة ·

وأجود معاجم المعاني الحديثة مادة وترتيباً وغزارة ، كتاب « **الافصاح في فقه اللغة » الذي نعرف به فيما يلي ، والذي اختصر فيه كتاب « المخصص » لابن سيده ، وأضيفت اليه أيضاً زيادات جيدة :**

Scanned by CamScanner

معاجم الألفاظ « القديمة »

هذه المعاجم ذات أهمية كبيرة ، وفوائد شتى ، منها أن تلك المعاجم هي المصدر الأساسي الذي يأخذ بأيدينا الى الكشف عن معنى لفظة نجهل تفسيرها ، أو نريد معرفة معناها صحيحاً دقيقاً ، لنتعرف استعمالها ، ونهتدي الى مضمون السياق الذي وردت فيه والمدلول الذي اكتسبته فيه ·

كما تساعدنا معاجم الألفاظ على ضبط مختلف الكلمات التي لا يظهر لنا وجه الصواب فيها ، ولا سيما الأسماء الجامدة ، وكثير من أسماء الأعلام والبلدان ، والأفعال الثلاثية خاصة · فكم من فعل ثلاثي وقفنا حائرين أمام معرفة حركة العين في ماضيه أو مضارعه ، أو معرفة مصدره ، وما لهذا المصدر من صور وأشكال ، وعندئذ لن نجد بغيتنا الا في معجم من معاجم الألفاظ ، فهي في عصرنا هذا تقوم مقام السماع من أئمة العربية وأهل الفصاحة فيها ·

واذا كانت معاجم المعاني كلها لا تخرج ، عند العرب ، عن طريقة واحدة في تصنيفها وتبويبها ، بحسب الموضوعات العامة ، فان معاجم الألفاظ تختلف فيما بينها اختلافاً شديداً ، وكانت مجال تنافس شديد ، ومن ثم تعددت طرائق ترتيبها وتبويبها على تعاقب السنين ، وغدت المكتبة العربية غنية بمعاجم الألفاظ ، القديمة والحديثة ، ما بين موجز ، ومتوسط ، ومطول · والأساس الذي يقوم عليه تبويب تلك المعاجم هو الحروف الهجائية أو حروف المعجم ، وليس الأغراض والمعاني · **وقد كان هناك عدة أشكال لترتيب الحـــروف الهجائية ، وهي :**

١ ـ **الترتيب الأبجدي** : وهو أقدم ترتيب عرفه العرب · ويقال انه ترتيب فينيقي · وعليه يجري ما يسمى بحساب الجمل « بضم الجيم ، وتشديد الميم المفتوحة » · وهو مجموع في هذه الكلمات : « أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ »(١) ، وحروف الترتيب الأبجدي في

---

(١) يقصد بحساب الجمل أن يعطى كل حرف ضمن الترتيب الأبجدي قيمة عددية تبدأ من الواحد الى العشرة بحسب التسلسل المذكور · ثم تزاد مضاعفات العشرة من الفاظ العقود حتى تصل الى التسعين لحرف الصاد · وبحرف القاف تبدأ المئة فمضاعفاتها حتى الألف لحرف الغين · وهذا الترتيب اتبعه المشارقة · أما المغاربة ـ وهم سكان الاندلس وشمالي افريقية ... فالترتيب الابجدي عندهم يجري على النسق التالي : « أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، صعفض ، قرست ، ثخذ ، ظغش » · ويستعمل حساب الجمل في ميادين مختلفة لا مجال لذكرها هنا ·

Scanned by CamScanner

الأصل ٢٢ حرفا وأضاف اليها العرب الروادف ، وهي ستة الحروف الأخيرة « ثخذ ، ضظغ » التي انفرد بها العرب عن غيرهم من أهل اللغات السامية الأخرى ٠

ولم يستخدم العرب الترتيب الأبجدي في معاجمهم ، بل استخدموه أحيانا في ترقيم صفحات كتبهم ورسائلهم ، أو في ترقيم بعض فقرات الكلام وعناوين الفصول والأبواب ، وما الى ذلك ٠

٢ ـ **الترتيب الصوتي ، أو المخرجي** : وهو يسير بحسب مخارج الحروف داخل الفم ، وتدرجها بدءا من أقصى الحلق حتى الشفتين ٠ ويراعي ، في ذلك ، التشابه الصوتي للأحرف ، ويقسمها الى فئات أو زُمر تبعا لموقعها من أجزاء الفم واللسان والأسنان ٠

وصاحب هذا الترتيب هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ـ ١٧٥ هـ) وفيه تنتظم الحروف على النسق التالي ، وفي خاتمتها أحرف العلة :

(ع ، ح ، هـ ، خ ، غ / ق ، ك / ج ، ش ، ض / ص ، س ، ز / ط ، ت ، د / ظ ، ذ ، ث / ر ، ل ، ن / ف ، ب ، م / و ، ي ، ا ، ء)(١) ٠

٣ ـ **الترتيب الهجائي ، أو الألفبائي** : وهو النسق المعروف حتى اليوم ٠ وقد ابتدعه في أواسط العصر الأموي : نصر بن عاصم الليثي (ـ ٩٠ هـ) في ولاية الحجاج على العراق ٠ وهذا الترتيب يراعي الأشباه والنظائر من الحروف ، من حيث التشابه الكتابي فيما بينها ، فيقدم الزمر الثلاثية بعد الهمزة ، فالثنائية ، وينتهي بالأحرف المفردة ، وذلك على هذا الترتيب :

---

(١) أسماء مجموعات هذا الترتيب هي ، على التوالي : حروف الحلق ، حروف اللهاة ، الحروف الشجرية ، فالأسلية ، فالنطعية ، فاللثوية ، فالذلقية ، فالشفوية ٠ ثم الهوائية وهي حروف العلة ٠

وقد نظم أبو الفرج المعافري الجزيري أبياتا في ترتيب الحروف بحسب مخارجها الصوتية فقال :

يا سائلي عن حروف العين ، دونكها ... في رتبة ضمها وزن واحصاء :
العين ، والحاء ، ثم الهاء والخاء ، ... والغين ، والقاف ، ثم الكاف : أكفاء
والجيم ، والشين ، ثم الضاد ، يتبعها ... صاد ، وسين ، وزاي ، بعدها طاء
والتاء ، والدال ، ثم الظاء ، متصل ... بالظاء ذال ، وثاء ، بعدها راء
واللام ، والنون ، ثم الفاء ، والباء ... والميم ، والواو ، والمهموز ، والياء

Scanned by CamScanner

(ا — ب ، ت ، ث — ج ، ح ، خ — د ، ذ — ر ، ز — س ، ش —
ص ، ض — ط ، ظ — ع ، غ — ف ، ق — ك ، ل — م — ن — هـ —
و — ي)(١) .

وقبل أن نتكلم على أنواع معاجم الألفاظ القديمة بحسب الترتيب الذي تنتمي اليه كل مجموعة منها ، **يحسن أن نذكر هنا الاتجاهات والطرائق التي انبثقت عن الترتيبين : الصوتي والالفبائي ، في اثبات مواد تلك المعاجم ،** والتي كان هدفها تيسير الرجوع الى معاجم الألفاظ ، وكيفية استخراج معاني الكلمات في كل منها ، بحسب طريقته الخاصة :

١ — **طريقة الترتيب المخرجي أو الصوتي** : وفيه ترتب الكلمات بحسب مخارجها الصوتية ، بعد تجريدها من الزوائد . فكلمة « نهر » نجدها في حرف الهاء « هرن » لأن الهاء مخرجها الصوتي قبل مخرجي الراء والنون . و «رجل» نجدها في حرف الجيم ، للسبب نفسه . وهكذا .

٢ — **طريقة الترتيب الهجائي المعروف** « الألفبائي ، على حروف المعجم » . وقد اتخذت صورتين :

أ — ترتيب الكلمات بحسب أواخرها ، بعد تجريدها من الزوائد ، وردها الى أصولها المجردة .

ب — ترتيب الكلمات بحسب أوائلها ، بعد ردها الى أصولها المجردة .

وفي الصفحات القادمة نتكلم على كل طريقة من هذه الطارق جميعا ، ونذكر المعاجم القديمة التي سلكتها وتقيدت بها في اثبات موادها ، ونتعرف منهج كل معجم منها في كيفية الرجوع اليه ، واستخراج الألفاظ فيه .
ثم نعرج على المعاجم الحديثة ، لنذكر أهمها ، وما أسهمت به من تطوير وتقدم في ميدان التأليف اللغوي .

---

(١) للحروف الهجائية ترتيب آخر عند المغاربة اتبعوه في كتبهم ذات الطابع المعجمي . وهذا الترتيب هو : (ا ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز / ط ، ظ / ك ، ل ، م ، ن / ص ، ض / ع ، غ ، ف ، ق / س ، ش / هـ ، و ، ي) .

طريقة الترتيب المخرجي

كتاب « العين »

للخليل بن أحمد

رائد هذه الطريقة **هو الخليل بن أحمد الفراهيدي** ، الذي عاش في القرن الثاني للهجرة وتوفي سنة ١٧٥ هـ . وهو من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وذو العلم الواسع بالموسيقا . وهو أستاذ سيبويه النحوي . عاش في البصرة فقيراً صابراً ، والناس يكسبون بعلمه الأموال . وله عدة مؤلفات لم يطبع منها سوى معجم « العين » .

وكتاب « العين » معجم لغوي من معاجم الألفاظ ، بل هو أول معجم عرفه العرب في تاريخهم اللغوي ، رتبت مواده بحسب « الترتيب الصوتي » ، أو المخرجي » الذي ابتكره الخليل نفسه ولم يُسبق اليه ، وقد أعرض عن « الترتيب الأبجدي » لأنه لا يستند الى مبدأ معين ، أو منهج محدد ، كما أعرض عن « الترتيب الهجائي » لأنه مبني أصلا على الرسم والكتابة ، في حين أن اللغة قوامها النطق والأداء ، المبنيان على الصوت وخروج الكلام بحروفه من داخل الفم .

وكانت الخطوة التالية لدى الخليل حصر مفردات اللغة العربية التي لم يجمعها جامع ، ولا استقصاها أحد قبله . فلجأ الى فكرة رياضية فذة تقوم على اعتماد مبدأ التقاليب ، وهو توليد كلمة من كلمة بتغيير مواضع الحروف فيها ، وهذا ما يعرف بالاشتقاق الكبير . فالأصل الثنائي « ج ر » يخرج منه صورتان هما : « جرّ » و « رجّ » . والأصل الثلاثي يكون منه عادة ستة تقاليب ، فتقاليب « ب ح ر » هي : « بحر ، برح ، حبر ، حرب ، ربح ، رحب » . والأصل الرباعي مثل « عبقر » يخرج منه أربع وعشرون صورة . أما الخماسي مثل « سفرجل » ففيه مئة وعشرون صورة . ولا شيء من الأصول فوق الخماسي . وبهذه الطريقة الرياضية استطاع الخليل أن يتوصل الى حصر الفاظ اللغة العربية – من الناحية النظرية – باثني عشر مليون كلمة تقريباً . لكنها ليست كلها مستعملة عند العرب ، فهناك تقاليب كثيرة مهملة ، ولا سيما في الأصلين : الرباعي والخماسي . فكان الخليل يثبت في معجمه ما كان مستعملا ، ويغفل ما كان مهملا في الاستعمال .

Scanned by CamScanner

وهكذا قام تنظيم كتاب « العين » على ثلاثة أسس ، هي :

١ ـ **الترتيب الصوتي للحروف بحسب مخارجها** ، من أقصى الحلق حتى الشفتين .

٢ ـ **طريقة التقاليب « الاشتقاق الكبير »** .

٣ ـ **اعتبار الأبنية** : وذلك بملاحظة عدد حروف المادة الأصلية التي عقدت منها تلك الأبنية . وقد وجد الخليل أن أبنية الكلام عند العرب تنحصر في : الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي . فهي لا تقل عن حرفين اثنين ، ولا تزيد على خمسة أحرف ، وكل زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم انما هي زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة ، مثل : « عنكبوت » وأصل بنائها على « عنكب » .

وقد رتب الخليل مواد كتابه وفق الطريقة الصوتية ، كما ذكرنا ، وجعله كتبا على عدد حروف الهجاء ، وسمى كل حرف كتابا . وسمى معجمه « العين » باسم الكتاب الأول منه ، وهو من اطلاق الجزء على الكل . وقد استهله بمقدمة ضمنها بعض القوانين اللغوية والصرفية الهامة ، التي استنبطها بنفسه من كلام العرب . ثم بدأ مواد كتابه بحرف العين ، لأنه أول حروف الهجاء عنده . وأتبعه بكتاب الحاء ، فكتاب الهاء ، وهكذا حتى آخر حروف الهجاء .

وقسم كل كتاب ، داخل حرفه ، الى الأبواب التالية :

١ ـ **باب الثنائي الصحيح** : وفيه الكلمات المؤلفة من حرفين أصليين ضُعِّف ثانيهما . ولذلك سماه أيضا « المضاعف » . ففي كتاب العين ، مثلا ، نجد : « عشّ » ومقلوبها « شع » . وسماه الثنائي لأن صورته من حرفين . ويذكر معه أيضا الرباعي الذي ضعفت فاؤه وعينه ، يعني : « عشعش » و « شعشع » . وفي « ع ق » يذكر : « عق ، وعقعق ، وعقيق » كما يذكر أيضا « قع ، وقعقع » .

٢ ـ **باب الثلاثي الصحيح** : وفيه الكلمات المؤلفة من ثلاثة أحرف أصلية صحيحة ، مع تقليب كل أصل بصوره الست ، والكلام عليها واحدة واحدة . ففي حرف العين أيضا نجد ، على سبيل المثال ، مادة « ص ع د » بتقاليبها الستة : « صعد ، صدع ، عصد ، عدص ، دصع ، دعص » ولكنه يهمل تقليبي « عدص » و « دصع » لعدم استعمال العرب لهما في كلامهم . وهكذا في « عجب » و « سمع » و « عرف » ....

٣ ـ **باب الثلاثي المعتل** : ويتضمن ما كان على ثلاثة أحرف أصلية ، أحدها حرف علة ، مثل : وعد ، وعيب ، ورضي ... ويذكر مع كل أصل تقاليبه المستعملة أيضا .

Scanned by CamScanner

٤ — **باب اللفيف** : وهو ما اجتمع في أصله الثلاثي حرفا علة ، فكان لفيفاً مقروناً مثل : عوى ، نوى ، هوى ، أو مفروقاً مثل : وفى ، وهى ..

٥ — **باب الرباعي** : وهو ما كان على أربعة أصول ، مثل : عبقر ، عجرف ، عسكر .. ويذكر الخليل مع كل أصل تقاليبه المستعملة في الكلام ، ويضرب صفحاً عن المهمل .

٦ — **باب الخماسي** : وهو ما كان على خمسة أصول ، مثل : فرزدق ، سفرجل ... ويورد كذلك ما يستعمل من تقاليب كل مادة . وقد يسوق الخليل أبواب الرباعي والخماسي معاً ، في بعض الأحيان ، ولا يفرق بينهما .

أما كيفية الرجوع الى معجم « العين » واستخراج الكلمات فيه ، فيكون أولا برد الكلمة الى أصلها المجرد ، ثم بالبحث عنها بحسب الحرف الذي يسبق سائر حروفها على الترتيب الصوتي أو المخرجي ، وبحسب الباب الذي تنتسب اليه الكلمة . مثال ذلك :

أجعد : مجرده « جعد » ، نجده في باب الثلاثي الصحيح من حرف العين .

خسران : مجرده « خسر » ، نجده في باب الثلاثي الصحيح من حرف الخاء .

هبة : مجرده « وهب » بعد رد الحرف المحذوف . ونجده في باب الثلاثي المعتل من حرف الهاء .

سفرجل : نجده في باب الخماسي من حرف الجيم . لأن الجيم تسبق سائر حروف هذه الكلمة في الترتيب المخرجي .

هذا ، وقد جمع الخليل في معجمه بين الواضح المشهور ، والوحشي الغريب من الألفاظ ، على السواء ، لأن ذلك أحفظ للغة وأصون لها ، ثم ان الوضوح والغرابة أمران نسبيان ، لا يتفق على كل منهما الاجماع والرضا . كما دعم الخليل شروحه اللغوية بموفور من الشواهد الشعرية ، والقرآنية ، ومن الحديث النبوي ، وأمثال العرب ومأثور الأدب وفصيح الكلام . وهو يعنى عناية كبيرة بلغات العرب ، كعنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة(١) ، وغيرهما من لغات هذيل واليمن ، كما لا يفوته أن يشير الى لغة المعاصرين له في العراق عامة ، وبلدته البصرة خاصة .

---

(١) العنعنة : لفظ الهمزة عيناً ، فيقولون في « أن » : « عن » . والكشكشة : جعل الشين مكان الكاف في خطاب المؤنث ، فيقولون في « عليك » و « منك » : « عليش » و « منش » .

ولا شك أن معجم « العين » دليل على النبوغ العربي ، وقدرة هذا النبوغ على الابداع والابتكار ، ولكن ، على الرغم من ذلك ، وردت فيه هنات كثيرة : من اضطراب في جمع بعض المواد ، واهمال لبعض الأبنية المستعملة في كلام العرب ، اضافة الى ما فيه من تصحيف وتحريف ، وأخطاء صرفية ، ووجود أشعار لشعراء جاءوا بعد عصر الخليل ، فضلا عن صعوبة استخراج الكلمات فيه على طريقته المخرجية . كل ذلك لا يمكن أن يقع فيه عالم كبير كالخليل ، وهذا ما جعل بعض العلماء يستبعد أن يكون الكتاب من وضع الخليل ، في محتواه الذي وصل الينا . وكان هذا الموضوع ـ ولا يزال ـ مثار نقاش وجدال ، ونفي واثبات . والثابت أن الخليل هو الذي قام أصلا بتأليف الكتاب أو معظمه ، ثم شوهت أيدي النساخ ، على مر السنين ، نصوصه ومواده ، فلم يبق على صورته الأصلية التي وضعه عليها الخليل .

ويبقى « العين » رائد المعاجم العربية ، والمنهل الثر الذي نهلت منه المعاجم التي ألفت بعده ، وأفادت منه أعظم الفوائد ، كما اختصره أو نقحه أو هذبه عدد من اللغويين فيما بعد : كالنضر بن شميل (ـ ٢٠٣ هـ) صاحب « المدخل الى كتاب العين » والمفضل بن سلمة (ـ ٢٥٠) في « الاستدراك على العين » وأبي بكر الزبيدي (ـ ٣٧٩) في « مختصر العين » الذي حذف ما في الأصل من شواهد ، وصحح ما وجده مصحفاً ، حتى بدا في نظر العلماء أحسن من الأصل .

أما طباعة كتاب « العين » فقد سارت متعثرة الخطوات خلال سنوات مضت ، اذ جرت أول محاولة لذلك على يد انستاس الكرملي الذي نشر في بغداد سنة ١٩١٤ م جزءاً من الكتاب عدد صفحاته ١٤٤ ثم نُشر الجزء الأول منه سنة ١٩٦٧ بتحقيق عبد الله الدرويش ، في ٣٧٦ صفحة . وأخيراً أعاد تحقيقه مجددا : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، وصدر منه في بغداد أيضا بضعة أجزاء متوالية .

☆

هذا ، وسار على طريقة الخليل في معجمه ـ من حيث الترتيب الصوتي مع مراعاة التقاليب والأبنية ـ عدد من اللغويين القدامى ، فألفوا معاجم تحذو حذوه ، وهي :

١ ـ البارع في اللغة : لأبي علي القالي (ـ ٣٥٦ هـ) . بقيت منه قطع طبعت مجموعة في مجلد واحد حققه هاشم طعان وطبع في بيروت سنة ١٩٧٥ م .

Scanned by CamScanner

٢ ـ **تهذيب اللغة** : للأزهري (ـ ٣٧٠ هـ) . طبع كاملا في ١٥ جزءاً بين سنتي (١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ م) ثم اضاف اليها عبد السلام هارون جزءاً سادس عشر للفهارس ، كما نشر رشيد العبيدي مستدركا على بعض الأجزاء وطبع هذا المستدرك في جزء متوسط بالقاهرة ١٩٧٥ م .

٣ ـ **المحيط في اللغة** : للصاحب بن عباد (ـ ٣٨٥ هـ) . طبع منه بعض الأجزاء في العراق بتحقيق محمد حسن آل ياسين .

٤ ـ **المحكم والمحيط الأعظم** : لابن سيده الأندلسي (ـ ٤٥٨ هـ) . صدر منه سبعة أجزاء . وهي تزيد على نصف الكتاب قليلا .

★ ★

Scanned by CamScanner

طريقة الترتيب الهجائي
أو « الألفبائي »

يقوم الترتيب الهجائي – كما ذكرنا سابقا – على ما نعهده اليوم ، من مراعاة التشابه الكتابي في رسم الحروف « ا ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ .. الخ » ، وعليه يجري العمل والعرف في الفهارس الفنية للكتب المختلفة ، وفي سجلات المدارس والدوائر الرسمية وترتيب أسماء الطلاب في الامتحانات والمسابقات وفي دليل الهاتف ، والموسوعات الهجائية المختلفة .... وغير ذلك مما لا سبيل الى حصره .

وقد شاع هذا الترتيب الهجائي في المعاجم اللغوية منذ القرن الرابع للهجرة ، الا أن مؤلفي المعاجم سلكوا احدى طريقتين اثنتين في سرد مواد كتبهم :

الأولى : ترتيب أصول تلك المواد بحسب الأواخر ، مع التزام الترتيب الهجائي فيها ، بالنظر الى آخرها . فكلمة « سحر » توضع في باب الراء ، و « عجب » في باب الباء ...

والثانية : ترتيب أصول المواد بحسب الأوائل ، مع التزام الترتيب الهجائي فيها ، بالنظر الى أولها . فكلمة « سحر » توضع في باب السين ، و « عجب » في باب العين ..

ونتكلم فيما يلي على كل من هاتين الطريقتين ، وأشهر المعاجم التي **سارت عليها :**

الترتيب بحسب أواخر الأصول

هذا النوع من المعاجم مقسم الى أبواب رئيسية بعدد حروف الهجاء ، وهي ٢٨ حرفا ، الا أن المؤلفين يدمجون بابي الواو والياء معا ، ويجعلونهما بابا واحدا عنوانه « **باب الواو والياء** » وهو يضم كل ما اعتل آخره من الأصول ، بلا تمييز بين الواوي واليائي . وبذلك **يصبح عدد أبواب المعجم** ٢٧ بابا ، منسوقة على النحو التالي :

— **باب الهمزة** : ويضم المواد الآتية : بدأ ، خبأ ، ربأ ، سبأ ، صبأ ، هبأ ، قرأ ، ملأ ... الخ .

Scanned by CamScanner

– **باب الباء** ، وفيه من المواد : حسب ، خرب ، سحب ، شرب ، ضرب ، طرب ، عرب ، نهب ...

وهكذا الى **باب الواو والياء** ، ومن مواده : أبى ، اسا ، بدا ، برى ، بقي ، خبا ، دلو ، طلى ، فدى ، كفى ... الخ .

وفي كل باب من هذه الأبواب الهجائية السبعة والعشرين رتبت الأصول أيضا ترتيبا هجائيا دقيقا فيما بينها بحسب الحرف الأول فما بعده ، لتيسير العثور على الكلمة المطلوبة ، وأطلق على أول المادة ضمن الباب الواحد اسم « **فصل** » ، بحيث يشتمل كل باب ، في الأغلب ، على ثمانية وعشرين فصلا بعدد حروف الهجاء أيضاً . الا أن مؤلفي هذه المعاجم يقدمون عادة فصل الواو على فصل الهاء بحيث يكون الترتيب في الفصول هكذا : « ... ك ، ل ، م ، ن ، **و** ، **هـ** ، ي » .

وعلى هذا نجد ، مثلا :

قرأ : في باب الهمزة ، فصل القاف (أو نقول : فصل القاف من باب الهمزة) .

رغب : في باب الباء ، فصل الراء (أو نقول : فصل الراء من باب البـاء) .

عجل : في باب اللام ، فصل العين (أو نقول : فصل العين من باب اللام) .

دلو : في باب الواو والياء ، فصل الدال (أو نقول : فصل الدال من باب الواو والياء) .

ظبي : في باب الواو والياء ، فصل الظاء (أو نقول : فصل الظاء من باب الواو والياء) .

فالباب : للحرف الأخير من الأصل المجرد ، وهو أول ما نبحث عنه ، ثم نبحث بعده عن الحرف الأول من ذلك الأصل في « الفصل » الذي يحمل اسمه .

وقد ألحق مؤلفو هذا النوع من المعاجم كتبهم بباب خاص سموه « باب الألف اللينة » وهو يشتمل على شرح بعض الحروف ، والأدوات والأسماء المبنية وما اليها ، حيث تذكر سرداً بلا تقسيم الى فصول ، وان كان ذلك ملحوظاً ، وتجري على هذا النسق : (أ ، اذا ، الى ، أولو ، الا ، ألا ، أنّى ، أيا ، الباء ، التاء ، الحاء ، ذا ، ذو ، الفاء ، كذا ، كلا ، لا ، لو ، ما ، مهما ، متى ... هلا ، هيا ، يا) .

Scanned by CamScanner

والطريقة العامة في استخراج الكلمة في هذا النوع من المعاجم هي :

١ ـ أن نجرد الكلمة من أحرف الزيادة اذا كانت مزيدة ، مثل « استغفر » مجردها « غفر » .

٢ ـ ونفك التضعيف اذا كان . مثل « شدّ » يصبح « شدد » .

٣ ـ ونرد حرف العلة الى أصله ، اذا وجد هذا الحرف وكان منقلبا عن حرف علة آخر ، مثل « قال » : أصله « قول » ، و « باع » أصله « بيع » .

٤ ـ ونرد الى الكلمة ما حُذف منها ، مثل « ثقة » أصلها « وثق » ، و « أب » أصلها « أبو » ، و « دُم » أصلها « دوم » .

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة أكثر من حالة . مثل « ميزان » : فيها حرفان زائدان هما الميم والألف ، وحرف علة وهو الياء منقلب عن واو ، فالأصل الثلاثي لكلمة « ميزان » هو « وزن » .

وبعد ذلك نستخرج الكلمة في باب الحرف الأخير منها ، وفي هذا الباب نبحث عنها في فصل حرفها الأول ، كما سبق .

واشهر المعاجم التي تسير على هذه الطريقة ثلاثة :

١ ـ **الصحاح** : للجوهري (ـ ٣٩٣ هـ) .
٢ ـ **لسان العرب** : لابن منظور (ـ ٧١١ هـ) .
٣ ـ **القاموس المحيط** : للفيروزابادي (ـ ٨١٧ هـ) .

الصحاح : للجوهري

الجوهري : اسماعيل بن حماد ، من أئمة اللغة المشهورين ، وأحد أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما . نشأ في العراق ، ورحل في طلب العلم ، وسافر الى الحجاز ، فطاف البادية ، وشافه الأعراب ، ثم أقام في نيسابور بخراسان ، وعكف فيها على التدريس والتأليف حتى توفي سنة ٣٩٣ هـ أو بعدها بقليل .

وكتابه « الصحاح » اشتهر بكسر الصاد ، جمع « صحيح » . ويجوز فتحها ليكون مصدرا بمعنى الصحيح ، مثل براء بمعنى بريء . واسمه الكامل « تاج اللغة وصحاح العربية » . وهو من أوائل المعاجم التي تأخذ بأواخر الكلمات . وقد حظي بعناية اللغويين والمصنفين فأثنوا عليه وفضلوه على غيره ، وفيه يقول ابن عبدوس النيسابوري :

هذا كتاب الصحاح سيد ما   صنّف قبل الصحاح في الأدب
تشمل ابوابه ، وتجمع ما   فرّق في غيره من الكتب

Scanned by CamScanner

ومع أن هناك محاولات سبقت الجوهري الى الأخذ بالحرف الأخير في ترتيب المواد ، فانه لم يطلع عليها فيما يبدو ، وابتدع تلك الطريقة لنفسه ، لأنه يصرح بذلك في مقدمة « الصحاح » قائلا : « أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة ... على ترتيب لم أسبق اليه ، وتهذيب لم أغلب عليه » .

وهذه الطريقة تقدم للشعراء والناظمين مادة لغوية وفيرة لاختيار قوافيهم ، وتسهل عليهم أمر هذا الاختيار ، كما تقدم لهواة الألفاظ المسجوعة ، من الكتاب والناثرين قدراً صالحاً من تلك الألفاظ .

وهذه أهم خصائص معجم « الصحاح » :

١ ـ أودعه الجوهري ما صح عنده من اللغة ـ كما صرح بذلك في المقدمة ـ وطرح الألفاظ غير الصحيحة . وتعني الصحة لديه : التزام الصواب في النقل ، وتحري الضبط في التدوين ، وأن تكون الألفاظ موثوقة الرواية عند العرب . ولذلك سماه : الصحاح .

٢ ـ استمد مادته من الكتب اللغوية والمعاجم التي سبقته ، ومن السماع والرواية عن العلماء مباشرة ، ومشافهة العرب في البادية ، وبخاصة الحجاز .

٣ ـ هو من المعاجم المختصرة ، بالقياس الى غيره ، وهو يكتفي بالشرح اللغوي لمواد كتابه ولا يهتم بذكر الآراء والأقوال المختلفة ، الا أنه يكثر من شواهد القرآن والحديث والشعر ، ويشرح مضمونها في كثير من الأحيان .

وعلى الرغم من منزلة « الصحاح » ومزاياه ، فان القدماء أخذوا عليه عدة هنات ، منها وقوع الغلط في مواضع كثيرة منه ، وشيوع التصحيف والتحريف في عدد من الفاظه . ويعود ذلك اما الى سهو وقع فيه الجوهري ، واما الى أن الجوهري مات والكتاب لا يزال مسوداً ، ولم يتح له تنقيحه وتبييضه ، فبيضه أحد تلاميذه الذين صحبوه ـ وهو أبو اسحق ، محمد بن صالح الوراق النيسابوري ـ وغلط فيه في مواضع كثيرة تتبعها عليه المحققون .

ويقول فيه الفيروزابادي ، صاحب القاموس المحيط : « غير أنه فاته نصف اللغة او أكثر ، اما باهمال المادّة ، أو بترك المعاني الغريبة النادّة » .

طبع « الصحاح » في مصر مرتين ، الأولى سنة ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥ م

Scanned by CamScanner

في مجلدين . والثانية سنة ١٩٥٧ م في ستة مجلدات محققة تحقيقاً جيداً بعناية أحمد عبد الغفور عطار(١) .

★

هذا وقد كان الصحاح موضع عناية علماء اللغة ، ولم يُخدم معجم عربي كما خُدم الصحاح ، تهذيباً وتنقيحاً واستدراكاً عليه ، وتنبيهاً على أوهامه . كما ترجم الى اللغتين : الفارسية والتركية . وقام بعضهم باختصاره . وأشهر مختصراتـه :

١ ــ تهذيب الصحاح : لمحمود بن أحمد الزنجاني (ــ ٦٥٦ هـ) طبع في ثلاثة أجزاء بالقاهرة سنة ١٩٥٢ بتحقيق عبد السلام هارون ، وأحمد عبد الغفور عطار . وهو يعادل عُشر الصحاح ، ورُتب مثله على أواخر الكلمات .

٢ ــ مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي (ــ ٦٦٦ هـ) . وهو مرتب على أواخر الكلمات أيضاً ، كالصحاح . وطبع كذلك مراراً في القرن الماضي . وفي أوائل القرن العشرين قام محمود خاطر ، أحد موظفي مطبعة بولاق في مصر ، باعادة ترتيب مختار الصحاح على أوائل الكلمات تيسيراً على طلاب المدارس ، وظهرت طبعته الأولى هذه سنة ١٩٠٥ م وتوالت طبعاتــه الكثيرة بعد ذلك الى يومنا هذا بحسب الأوائل أيضاً . وندرت جداً طبعته المرتبة على الأواخر ، بل فقدت من الأسواق ، حتى ان الناس يظنون أن مختار الصحاح مرتب في أصله على الأوائل ، وهذا خلاف الحقيقة .

لسان العرب : لابن منظور

ابن منظور : محمد بن مكرم ، الأنصاري الافريقي ، ثم المصري . امام لغوي حجة . ولد في مصر ــ وقيل في طرابلس الغرب ــ وخدم في ديوان الانشاء في القاهرة ، ثم ولي القضاء في طرابلس ، وعاد الى مصر فتوفي فيها سنة ٧١١ هـ .

---

(١) قام نديم مرعشلي وابنه اسامة بتهذيب الصحاح واختصاره واعادة ترتيبه على الأوائل ، مع اضافة بعض المصطلحات العلمية والألفاظ الحديثة ، وسميا كتابهما « الصحاح في اللغة والعلوم » . وطبع في مجلدين كبيرين سنة ١٩٧٤ م في بيروت . ثم اختصراه ايضا بالعنوان نفسه في « معجم وسيط » طبع سنة ١٩٧٥ في مجلدين ايضا .

Scanned by CamScanner

طبع من كتبه : لسان العرب ، وأخبار أبي نواس ، ومختار الأغاني وهو مختصر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

ومعجمه « لسان العرب » من أضخم المعاجم العربية وأغزرها مادة ، وقد حظي على مدى الأيام بتقدير العلماء وثقتهم . وصدره ابن منظور بمقدمة تحدث فيها عن هدفه من تأليف هذا الكتاب ، واهتمامه بكتب السابقين من اللغويين ، ونصل آراء العلماء في الحروف المقطعة التي بدئت بها بعض السور القرآنية ، ثم تحدث عن ألقاب الحروف الهجائية وطبائعها وخواصها ومخارجها .

وقد جمع ابن منظور مادة كتابه من خمسة معاجم ألفت قبله ، وذكرها في مقدمته ، وهي : تهذيب اللغة : للأزهري (ـ ٣٧٠ هـ) ، والصحاح : للجوهري (ـ ٣٩٣) ، والمحكم : لابن سيده (ـ ٤٥٨) وحواشي ابن بري على الصحاح (ـ ٥٧٦) والنهاية في غريب الحديث : لابن الأثير (ـ ٦٠٩) .

ومما قاله في مقدمته : « فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع ، وصار هذا بمنزلة الأصل ، وأولئك بمنزلة الفروع .. » . ويوضح غايته من تأليف كتابه فيقول : « فانني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها ، اذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية ، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان ، ويخالف فيه اللسان النية ، وذلك لما رأيته قد غلب ، في هذا الأوان ، من اختلاف الألسنة والألوان ، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحناً مردوداً ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً . وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية ، وتفاصحوا في غير اللغة العربية ، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون ، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون ، وسميته : لسان العرب » .

وتلك هي أهم خصائص هذا المعجم :

١ ـ هو موسوعة شاملة ، لا تقتصر على المواد اللغوية وشروحها ، بل تضم فوائد واستطرادات ونقولا كثيرة ومتنوعة ، يفيد منها الأديب والفقيه والمحدث واللغوي والصرفي والنحوي والأخباري وعالم التفسير .

٢ ـ كثرة الشواهد الشعرية والنثرية التي يحتج بها ، من قرآن ، وحديث ، وحكم وأمثال ، ومأثور كلام العرب وأشعارهم .

٣ ـ وشغف المؤلف بالاسهاب والتفصيل ، يدفعه الى ايراد الآراء المختلفة في الشرح ، على ما فيها من تناقض واختلاف ، وينسب كل قول الى صاحبه . وفي بعض الأحيان يذكر رأيه الخاص ، أو يبادر الى ذكر بعض

Scanned by CamScanner

التفسيرات والاضافات ، أو يخالف عن آراء من التزم مناهجهم ، مع وجاهتها .

٤ — يستوعب معظم مفردات اللغة العربية ، في تفصيل للوجوه واللغات والروايات المختلفة ، بما يسعف الباحث المتعمق ، والدارس المتخصص في علوم العربية .

٥ — وفي مبدأ كل باب يتحدث ابن منظور عن الحرف المعقود له الباب ، حديثا يطول أو يقصر ، بحسب الاقتضاء ، ويشير الى بعض أحوال هذا الحرف وما يطرأ عليه ، وقد يورد بعض الفوائد الهامة ، مؤيدة بشواهد غنية .

ويؤخذ على « لسان العرب » — برغم قيمته الكبيرة — كثرة تكرار الشروح اللغوية ، وأنه لا يلتزم أحيانا التزاما تاما بما ينقله من مصادره الخمسة التي سبق ذكرها ، وأنه لا يذكر صراحة مصادره تلك دائما ، وفي كل خطوة . ولو أنه فعل ذلك لعرفنا بتطور معاني الألفاظ ونشوء الكلمات وما رافقها من ملابسات ، حين نعرف أول من سبق الى الحديث عن معنى دون الآخر . ومن هنا فان « اللسان » يفتقر الى الترتيب والتنظيم ، ضمن كل مادة على حدة ، وهذا ما لم يفعله ابن منظور الذي حشد الألفاظ حشدا لا يقوم على منهج واضح ، ولا تنسيق علمي .

*

طبع « لسان العرب » وصور عدة مرات ، وأصل طبعاته الكاملة اثنتان :

١ — **طبعة بولاق** في القاهرة سنة (١٣٠٠ — ١٣٠٨ هـ) وتقع في عشرين مجلدا . ثم صورت هذه الطبعة في مصر في عشر الستينات من هذا القرن .

٢ — **طبعة دار صادر** في بيروت (١٩٥٥ — ١٩٥٦ م) . وقد ظهرت منجمة في ٦٥ عددا . ثم جمعت في ١٥ مجلدا ضخما ، وصورت مرارا في بيروت(١) . وكانت دار الفكر في بيروت قد بدأت سنة ١٩٥٤ بنشر لسان العرب تباعا في حجم كبير ، ثم توقفت عن متابعة طباعته بعد أن أصدرت منه ١٢٩ عددا تنتظمها بضعة مجلدات تنتهي بمادة « صرف » ، وهي تعادل نصف حجم اللسان أو تزيد قليلا .

---

(١) نشرت طبعتان كاملتان أخريان للسان ، قُلب فيهما ترتيب مواده على الأوائل ، بلا تغيير في المواد وشروحها ، أولاهما أعدها يوسف الخياط ونديم المرعشلي وطبعت في بيروت سنة ١٩٧٠ م بعنوان « لسان العرب المحيط » وذيلت بالمصطلحات ←

Scanned by CamScanner

القاموس المحيط : للفيروزابادي

مؤلفه : مجد الدين الفيروزابادي (ـ ٨١٧ هـ) الذي أسهم اسهاما بالغا في الدراسات العربية ، وخلف كنوزاً ضخمة تزيد على العشرين كتاباً • ولكن شهرته كادت تقوم على « القاموس المحيط » وحده دون سائر مؤلفاته الأخرى ، بل ان اسمه « **القاموس** » صار يُطلق ـ كما أسلفنا ـ على كل معجم لغوي ، مهما كان نوعه ، مع أن هذه الكلمة تعني في اللغة : البحر ، أو وسطه ، أو معظم مائه ، وقد صرح الفيروزابادي في المقدمة بسبب تلك التسمية فقال : « **وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم** » •

وأثنى أيضا على كتابه فقال : « وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، مُعربا عن الفُصَح والشوارد ••• مشتملا على فرائد أثيرة ، وفوائد كثيرة ، من حسن الاختصار ، وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وايراد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة ••• » •

وقبل أن نفصل القول في خصائصه نورد منه النص الآتي الذي يضم جملة منها • قال في مادة (حدد) :

« الحدُّ : الحاجز بين شيئين ، ومنتهى الشيء ، ومن كل شيء : حدته ، ومنك : بأسك ، ومن الشراب : سورته ، والدفع ، والمنع ـ كالحدد ـ وتأديب المذنب بما يمنعه وغيره عن الذنب ••

←

الفنية والعلمية الحديثة • والثانية بعنوان « لسان العرب » نشرت أولا منجمة في مصر ، وصدرت عن دار المعارف في (٥٥ عددا) ، ثم جعلت في ستة مجلدات واشرف على تحقيقها : عبدالله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي •

ولا تزال طبعات اللسان ، على اختلافها ، حتى اليوم (١٩٨٨) خالية من فهارس فنية تشبه تلك التي صنعها عبد السلام هارون لمعجم « تهذيب اللغة » للأزهري ، وتيسر الاستفادة من تلك الموسوعة الضخمة • وقد كانت هناك مشروعات ووعود تحقق منها محاولتان :

الأولى : كتيب بعنوان « شواهد لسان العرب ، مرتبة على حروف المعجم » : لعبد الفتاح قتلان ، نشر في مصر سنة ١٩١٧ م ويشتمل على حرف الهمزة فحسب ، في ٥٤ صفحة • ثم توقف العمل •

والثانية : كتاب « معجم الشعراء في لسان العرب » صنعه د• ياسين الأيوبي ، وطبع في بيروت سنة ١٩٨٠ م ، في مجلد واحد يضم ٥٥٠ صفحة •

Scanned by CamScanner

والحديد م ج حدائد وحديدات ، والحداد : مُعالجه ، والسجان ، والبواب ، .. وحد السكين وأحدها وحددها : مسحها بحجر أو مبرد فحدت تحد حدة .. وحِداد ، كغُراب ورمان ، ج حديدات وحدائد وحداد ...

وحُدّ ، بالضم ع .. وبنو حدان بن قُريع ، ككتان ، بطن من تميم منهم أوس الحداني الشاعر ، وبالضم : الحسن بن حدان المحدث ، ... والحدادية : ة بواسط . وحدد محركة : جبل بتيماء وأرض لكلب ... » .

ونذكر ، بعد هذا ، أبرز الخصائص والمزايا التي يتصف بها القاموس المحيط :

١ ـ استيعابه لمعظم مفردات اللغة العربية ، حتى الغريب النادر منها ، ولكي لا يتعاظم حجم الكتاب ، حاول الفيروزابادي أن يُفرغ عمله في قالب محكم من الايجاز والاحكام ، مع التزام اتمام المعاني ، وابرام المباني ـ كما يقول في مقدمته ـ فاضطر من أجل ذلك الى تكثيف مادته ، وايجاز عبارته ، وتركيزها . وهذا ما جعل الغموض أو الاخلال بالمعنى يتسربان اليه في كثير من الأحيان ، وأصبحت عبارته تحتاج الى امعان وتأمل .

٢ ـ حرص المؤلف على ضبط الكلمات بدقة ، والتعويل في هذا الضبط على التمثيل بكلمات شائعة ، أو بالنص على ذلك كتابة وعدم الاكتفاء بضبط القلم ، كما رأيت في قوله : « وحِداد ، كغُراب ورمان » أي على وزن كلمتي (غراب ، ورمان) معاً . وقوله أيضاً : « وحَدَد ، محركة » أي بفتح الحاء والدال .

٣ ـ العناية بذكر المشهور من أعلام الأمكنة والأشخاص والقبائل ، وضبطها . وهو يجعل ذلك في آخر كل مادة من مواد القاموس غالباً . كما رأيت في : « حُد » و « بني حدان » و « الحسن بن حُدان » ...

٤ ـ وعني الفيروزابادي بايراد المولد ، والأعجمي ، والغريب من الألفاظ ، وبيان أصلها .

٥ ـ وقد لجأ الفيروزابادي الى اتخاذ بعض الاصطلاحات الخاصة ، والرموز المختصرة سعياً وراء الايجاز والتكثيف ، ومن ذلك :

م = معروف
ع = موضع
د = بلد

Scanned by CamScanner

ة = قرية
ج = جمع
جج = جمع الجمع

٦ – ولم يهتم كثيراً بالشواهد على اختلاف أنواعها ٠ ولا تزيد الشواهد الشعرية لديه على ٢٥٠ بيتاً ٠

هذا وقد أوتي « القاموس المحيط » شهرة واسعة ، واهتم به الباحثون واللغويون قديماً وحديثاً ، وجعلوه عمدة بين معاجم الألفاظ ، يثقون به ويؤثرونه على غيره ، لا يكاد ينافسه اليوم في هذه المنزلة الا « لسان العرب » لابن منظور ، بعد أن كان « الصحاح » في القديم هو الذي يزاحمه في الشهرة والمنزلة حتى انقلب الأمر الى خصومة بين اللغويين والأدباء ، أنفسهم ، ما بين منتصر لأحد الكتابين أو متعصب عليه ، وألفت في ذلك كتب ، كما قيلت أشعار طريفة ، من ذلك قول الأديب نور الدين المكي منتصراً للقاموس المحيط :

مُذ مدّ مجد الدين في أيامه — من بعض أبحر علمه « القاموسا »
ذهبت « صحاح » الجوهري كأنها — سِحر المدائن حين القى موسى

وقد رد عليه عالم الشام في وقته ، عبد الغني النابلسي ، بهذين البيتين :

مَن قال قد بطلت صحاح الجوهري ، — لما أتى القاموس ، فهو المفتري
قلتُ : اسمه القاموس ، وهو البحر ، ان — يفخر فمعظمُ فخرهِ بالجوهر « ي »

وممن تعقب أغلاط القاموس المحيط وأوهامه ، وبين كثيراً من مزالقه ، وعلق على بعض محتوياته : أحمد فارس الشدياق (– ١٨٨٧ م) في كتابه « الجاسوس على القاموس » ٠

ومما أُخذ على القاموس المحيط أنه لا يطرد على نسق معين في ترتيب ألفاظ كل مادة ، واقتصاره على متن اللغة دون شروح كافية ، وغموض عبارته أحياناً وتداخل الضمائر بسبب حرصه على الايجاز والتكثيف واللغة الرمزية ٠ وهذا ما جعل العلامة المرتضى الزبيدي يقوم بشرح القاموس المحيط ، واعتنائه بالشواهد الكثيرة ، شعرية ونثرية ، والتعقيب على كل مادة بزيادة ما يستدركه منها على القاموس نفسه ، فضلا عما قد يصوّبه خلال المادة نفسها ، وسمى الزبيدي شرحه هذا : « تاج العروس من جواهر القاموس » ، وأصبح بذلك معجماً مستقلا يضم عشرة مجلدات كبيرة طبعت كاملة أول مرة سنة ١٣٠٦ هـ ، ثم طبعت ثانية بطريقة التصوير ٠

Scanned by CamScanner

ويعاد طبع « التاج » مشكولا محققا في الكويت منذ سنة ١٩٦٥ م في تجزئة جديدة . وقد ظهر منه حتى اليوم (١٩٨٨ م) أربعة وعشرون جزءا . وهذه الأجزاء الأربعة والعشرون تقارب في محتواها ثلثي الكتاب في طبعته الكاملة .

أما القاموس المحيط فقد طبع وصور مرارا في مصر ولبنان ، منذ سنة ١٨٧٢ م في أربعة مجلدات(١) . وآخر طبعاته ، وأجودها عناية وتحقيقا ، ظهرت في مجلد واحد انيق ، وصدرت عن « مؤسسة الرسالة » في بيروت سنة ١٩٨٦ م .

الترتيب بحسب أوائل الأصول

تقوم هذه الطريقة – كما أسلفنا – على ترتيب الأصول المجردة للكلمات في المعجم ، ترتيبا هجائيا على النسق المعروف حتى اليوم ، مع مراعاة أوائل تلك الأصول من جهة ، وما بعد هذه الأوائل ، على الترتيب ، من جهة أخرى .

وعلى هذا فان كلا من الأصلين « غرق » و « غضب » يذكر في باب الغين ، ولكن « غرق » يأتي قبل « غضب » لأن الراء قبل الضاد . كما أن « عبث » يذكر قبل « عبر » لأن الثاء تأتي قبل الراء في الترتيب الهجائي . فمن الواضح اذن أنه اذا اتفق الأصلان في الحرف الأول ، روعي الحرف الثاني منهما في الترتيب ، واذا اتفقا في الحرفين الأول والثاني ، روعي الثالث .

وهذا النوع من المعاجم مقسم الى ثمانية وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء، من الهمزة الى الياء . ولا مكان للفصول هنا .

ويعد معجم « أساس البلاغة » للزمخشري (– ٥٣٨ هـ) أول معجم قديم تحققت فيه تلك الطريقة بأجلى مظاهرها على الوجه المكتمل الذي شرحناه آنفا . وقد سبقته أربعة معاجم مطبوعة رتبت موادها على الأوائل أيضا ،

---

(١) وفي عصرنا الحديث قام الطاهر أحمد الزاوي ، مفتي ليبيا ، باعادة ترتيب مواد القاموس المحيط على الأوائل بدلا من الأواخر ، وجعل عنوانه « ترتيب القاموس المحيط » وطبع أول مرة في مصر سنة ١٩٥٩ م ، كما طبع ثانية سنة ١٩٧٠ وصورت هذه الطبعة غير مرة ، ثم ان الزاوي نفسه اختصره في « مختار القاموس المحيط » .

Scanned by CamScanner